خطاب الإمام الخميني وواجب رؤساء البلدان الإسلامية والعلماء في مواجهة الاستعمار والصهيونية

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لا تكلنا إلى غيرك، وأخرج حب الدنيا من قلوبنا، واغرس فينا الخُلُق الرفيع، واحفظنا في كنف أمير المؤمنين (ع) من كل سوء، واجعلنا خداماً للإسلام والمسلمين، اللهم واحفظ علماء المسلمين أينما كانوا، وألهمنا معرفة قدرهم. واجعل اللهم دين الإسلام مناراً، وقدّمه على جميع الكلمات "اللهم أعظم كلمة الإسلام."

تعلمون أيها الإخوة المحترمون أنّ رسول الله (ص) قام وحيداً في بيئة كانت تقف ضده بأسرها، وقد عانى الكثير وتحمّل من الأذى الكثير، واعتصرته آلام كثيرة في سبيل تبليغ الإسلام للناس، فدعا الناس إلى الهدى والتوحيد، وتحمّل (ص) من المشاقّ في ذلك السبيل ما لا أعتقد أنّ أحداً يقوى على حملها.

وبعد الرسول الأكرم (ص) عمد المسلمون إلى أداء مسؤولياتهم إلى حد ما، وتقوية الإسلام، فانطلقوا يوسّعون سلطة الإسلام، حتى تأسست في العالم دولة إسلامية عظيمة فاقت جميع الدول الأخرى قوة وسعة.

وقد كتب الرسول الأكرم (ص) ـ كما ذكر صحيح البخاري ـ الذي أورد كتابه نصاً كتاباً إلى هرقل وكما تذكر كتب التاريخ، فإنّ الرسول (ص) كتب أربعة كتب إلى أربعة أباطرة: إمبراطور إيران، وإمبراطور الروم، وإمبراطور مصر، وإمبراطور الحبشة، ونفس كتبه محفوظة. وعلى ما أذكر فقد رأيت أحد كتبه في المتحف التركي عند زيارتي له.

هذه الكتب الأربعة كانت كلها بمضمون واحد، أرسلها إلى هؤلاء الأباطرة يدعوهم فيها إلى الإسلام والتوحيد. وبعد هذا العمل من قِبل الرسول الأكرم (ص) مقدمة وحجر أساس في عملية إبلاغ حقائق الإسلام إلى جميع أرجاء المعمورة، والى جميع الإمبراطوريات في الدنيا، وتعريف الإسلام الحقيقي للناس، غير أنّ هؤلاء الملوك ـ عدا ملك الحبشة ـ لم يستجيبوا وللأسف، لذا فقد توقفت تلك الدعوة التي أراد الرسول الأكرم (ص) أن يقوم من خلالها بنشر الإسلام.

على أية حال، فقد قوي الإسلام بالجهود المضنية وبتحمّل أنواع العناء سواء من قِبل الرسول الأكرم (ص) أو من جاء بعده ممن تصدَّوا لرئاسة الدولة الإسلامية، وراح ينتقل من يد إلى يد حتى وصل اليوم بأيدينا، بأيدي هذه الفئة الموجودة حالياً، وهي المسؤولة عن الإسلام وعن أحكامه في

عصرنا هذا، وتختلف مسؤوليتهم باختلاف مواقعهم، فالبعض منهم يتحمّل مسؤولية جسيمة، في حين يتحمّل البعض الآخر مسؤولية تقلّ أهمية عما يتحمّله أولئك.

فالذين يتحمّلون المسؤولية الجسيمة هم الحكومات، ورؤساء الجمهوريات الإسلامية، وملوك المسلمين. هؤلاء مسؤوليتهم خطيرة جداً، ولعلها أشد خطراً من مسؤولية جميع الفئات الأخرى، فقد اقتضت إرادة الله التكوينية أن يصل الإسلام إلى أيدي هذه الفئة، فيصبحوا بذلك مسؤولين عن حفظ الإسلام، وحفظ وحدة كلمة المسلمين، وحفظ الأحكام الإسلامية، ونشر الإسلام إلى مختلف أرجاء هذا العالم المتمدن.

ولا يتوهمّن أحد بأنّ الإسلام كالمسيحية لا يعدو سوى رابطة بين الأفراد وبين الله (تبارك وتعالى). إنّ الإسلام ينطوي على منهج متكامل للحياة، ونظام للحكم، وقد مارس دوره في الحكم ما يزيد على الخمسة قرون حينما كان يحكم بلداناً مترامية الأطراف، ورغم عدم تطبيق أحكام الإسلام حينها كما ينبغي، إلاّ أنه ـ بهذا المقدار الذي طبّق منه ـ حكم تلك البلدان بعزة ومنعة من جميع النواحي وفي جميع الأحوال.

فالإسلام يختلف عن باقي الأديان المعروفة حالياً (لعلها كانت كالإسلام وقت ظهورها) إلاّ أنّ الموجود حالياً منها ـ وخصوصاً المسيحية ـ لا تملك سوى بضع كلمات وعظية دون أن يكون لديها برامج فيما يتعلق بالسياسة أو إدارة المدن والأقاليم. فلا يتوهمنّ بأنّ الإسلام كتلك الأديان لا نظام فيه، فالإسلام قد وضع برنامجاً دقيقاً ومفصلاً لحياة الإنسان الفردية بدءاً من الفترة السابقة لولادته، ومروراً بجميع المراحل التي يمضيها ضمن العائلة. كما وضع البرامج لمجتمع العائلة، وعيّن الأحكام والقوانين لكل جوانبها ومرحلها، ثم يتابع الإنسان بعد خروجه من العائلة للدخول في مجال التعليم، وحتى دخوله المجتمع الكبير، ووضع القوانين التي تنظم حياة المجتمع المسلم، بل وحتى القوانين والبرامج التي تنظم علاقة الدولة الإسلامية مع سائر الدول والشعوب. كل ذلك له أحكام في الشريعة المطهرة. فأحكام الإسلام لا تقتصر على مراسم الدعاء والزيارة فقط، أو الصلاة والدعاء والزيارة وحسب، فهذه الأمور ليست إلاّ جانباً من جوانب الأحكام الإسلامية.

الدعاء والزيارة جانب من جوانب الإسلام، وإلاّ ففي الإسلام سياسة، فيه نظام لإدارة بلاد بأسرها، الإسلام ينظم ويدير شؤون بلدان واسعة. وعلى قاعدة المسلمين وملوكهم، وعلى الحكومات الإسلامية عموماً أن تُعرّف الإسلام للعالم أجمع.

ولا يتوهم النصارى بأنّ المسجد كالكنيسة، فحينما كانت الصلاة تقام في المسجد كان المسلمون يفهمون تكليفهم من خلالها، وكانت خطط الحروب توضع في المسجد، ويتم فيه الإعداد والتخطيط لإدارة شؤون البلدان. فالمسجد يختلف عن الكنيسة التي تمثل رابطة فردية بين الإنسان وبين الله (تبارك وتعالى) . على حد زعمهم . فالمسجد كان مركزاً لسياسة الإسلام في زمن رسول الله (ص) وفي زمن الخلفاء. وفي يوم الجمعة كانت تطرح مختلف الموضوعات السياسية والعسكرية، وما يتعلق بإدارة البلاد في خطبة الجمعة، ففي زمن الرسول (ص) وفي زمن الآخرين كان أمير المؤمنين (ع) يخطط لمثل تلك الأمور، وتوضع البرامج الخاصة بها في المسجد.

إنّ على هؤلاء الرؤساء أن ينشروا الإسلام الحقيقي، وهي مسؤولية تفرضها عليهم المراتب التي قيّضها الله تعالى لهم. عليهم أن ينشروا الإسلام الحقيقي، أن يعدّوا برنامجاً إذاعياً لنشر الإسلام. عليهم أن يراجعوا علماء الإسلام لكي يشرحوا لهم حقائق الإسلام، فيقوموا هم بنشرها عبر المحطات الإذاعية والمطبوعات.

فلقد سعى رسول الله (ص) إلى إيجاد وحدة الكلمة في كافة أرجاء المعمورة، سعى ليوحّد دول العالم أجمع تحت ظل كلمة التوحيد، أراد أن يجعل الربع المعمور من الكرة الأرضية تحت ظل "كلمة التوحيد" غير أنّ أغراض السلاطين ورغباتهم من جانب، ورغبات علماء النصارى واليهود وأمثالهم من جانب آخر، حالت دون تحقيق الرسول الأكرم (ص) ذلك. وهم ذاتهم الذين يحولون اليوم دون تحقيق الهدف ذاته. فكل مشكلاتنا بسببهم، فالذين يحولون اليوم دون نشر الإسلام الحقيقي هم اليهود والنصارى.

إنّ على حكام المسلمين وملوكهم ورؤساء جمهورياتهم الآن مسؤولية تجاوز الخلافات الجانبية التي تطرأ بينهم أحياناً، فليس في الإسلام عرب وعجم أو ترك وفرس، إنها كلمة الإسلام فقط. فعليهم أن يتّبعوا أسلوب الرسول الأكرم (ص) في الجهاد في سبيل الله، وأن يتّبعوا الإسلام. فإنهم إن تمكنوا من توحيد كلمتهم، وتجاوزوا الاختلافات الجزئية الطارئة، وصاروا جميعاً يداً واحدة، فإنهم سيؤثرون فعلاً، وإلاّ فإنّ تعداد المسلمين يناهز السبعمائة مليون نسمة، غير أنّ هذه السبعمائة مليون المتفرقة لا تعادل في تأثيرها حتى مليوناً من النسمات. سبعمئة مليون نسمة متفرقين لا نفع منهم، وحتى لو بلغوا آلاف الملايين عدداً فإنهم لن ينفعوا شيئاً ما داموا متفرقين، في حين لو مدّ مائتا مليون أو أربعمائة مليون من هذه السبعمائة يد الأخوّة لبعضهم البعض . مع احتفاظهم بحدودهم وثغورهم . لو وحّدوا كلمتهم فيما يشتركون فيه، كمفهوم الأمة الإسلامية الواحدة، وكلمة التوحيد،

والمصالح الإسلامية المشتركة، لو وحّدوا كلمتهم في ذلك، لما طمع اليهود في فلسطين، ولما طمع الهندوس في كشمير. ولهذا فإنّ هؤلاء لا يسمحون بتحقيق اتحادكم! وليعلم هؤلاء الرؤساء . وهم يعلمون . بأنّ أولئك الذين يريدون نهب ثرواتكم، إنما يهدفون إلى تحقيق ذلك بالمجان، يريدون الاستيلاء على ثرواتكم الدفينة تحت الأرض والتي على ظهرها، وبذا فهم لا يسمحون للعراق وإيران أن يتّحدا معاً، ولا يسمحون باتحاد إيران ومصر، أو تركيا وإيران، لا يسمحون لهم بتوحيد كلمتهم، ولن يسمحوا بذلك، غير أنّ مسؤوليتكم أنتم أيها الرؤساء تختلف، إنّ على الرؤساء مسؤولية الاجتماع مع بعضهم والتفاهم، وليحافظ كلٌ منهم على حدوده وثغوره، ليحتفظ كل واحد منهم بحدوده، ولكن على الأقل وحّدوا كلمتكم أمام العدو الخارجي الذي يلحق بكم كل هذه الأضرار. لو تمكنتم من توحيد كلمتكم. حفنة من اللصوص الصهاينة شردوا أكثر من مليون مسلم من فلسطين منذ عشر سنوات أو أكثر دون أن تحسن البلدان الإسلامية غير الاجتماع مع بعضهم وندب حظهم العاثر! فلو كانت كلمتكم واحدة، كيف تتمكن تلك الحفنة من اللصوص اليهود أخذ فلسطينكم من أيديكم، وتشريد المسلمين منها، ثم لا تستطيعون أنتم تحريك ساكن بوجههم! لو وحّدتم كلمتكم، فكيف يتمكن الهندوس المتخلفون من الاستيلاء على كشمير العزيزة وأخذها من المسلمين دون أن يصدر عنهم أي رد فعل! إنّ هذه الأمور من الواضحات، غير أنه لا بد من التذكير بها. وهؤلاء يدركون هذه الأمور، إلاّ أنهم ينبغي أن يفكروا، أن يجتمعوا ويفكروا، وأن ينبذوا هذه الاختلافات الجانبية. إنّ الإسلام الآن بين أيديكم. فليعلم رؤساء المسلمين، وملوكهم، ورؤساء جمهورياتهم، وشيوخهم وجميع الممسكين بزمام السلطة في بلاد المسلمين بأنّ ما قيّضه الله (تبارك وتعالى) لهم من الترؤس ينطوي على مسؤولية عظيمة، فرئاسة قوم أو شعب تستتبع المسؤولية أمام هؤلاء القوم أو الشعب، المسؤولية عن حياتهم، والمسؤولية إزاء الحوادث والملمّات التي تواجههم، فهم مسؤولون، والآخرون هم الذين يحتاجونهم! وعجيب ما يحصل، الثروة بيد الشرق، فالنفط هذه الثروة الحيوية بيد الشرق، بيد المسلمين، وفي البلدان الإسلامية تتكدّس تلك المعادن البالغة الأهمية التي كانت دوماً السبب في تقدّم الدول وتفوّقها في الحروب، فالتفوّق الذي حققه أي بلد إنما كان بسبب تلك السيول الهادرة من البترول، وهذا كله بأيديكم، فالعراق . بحمد الله . بلد بترولي، إيران . بحمد الله . بلد بترولي، الكويت فيها نفط؟ الحجاز فيها نفط.. النفط بيد المسلمين! وهؤلاء هم الذين عليهم أن يأتوا إليكم ويتملّقوكم، ويقبّلوا أيديكم وأقدامكم لتبيعوهم هذه الثروات بأسعار عالية. لا ينبغي أن

تتملّقوا لهم أنتم . وإن شاء الله لن تفعلوا . هم الذين يجب أن يتملّقوكم، ولكن رغم ذلك ترى أنّ الأمر ليس كذلك.

لقد رتّب المستعمرون الأمور بطريقة جعلت بعض البلدان تتوهم أنّ الأمر على العكس من ذلك، فاعتقدوا أنّ عليهم هم أن يتملّقوا لهؤلاء، وأن يجاملوهم بتقديم شيء ما إليهم لحملهم على القبول بأخذ هذه الثروة منه!.. وهذا لممّا يدعو إلى الأسف حقاً.

إن لم تتوحد الكلمة، إن لم يوحّد رؤساء المسلمين كلمتهم، ويتفكروا في المآسي التي تعاني منها الشعوب الإسلامية، وإن لم يفكروا بما حل بالإسلام وبأحكام الإسلام، إن لم يفكروا في الغربة التي صار عليها الإسلام والقرآن الكريم، فإنهم لن يتمكنوا من أن يسودوا. فيجب أن يفكروا وأن يعملوا بجد حتى يسودوا، ولو فعلوا لسادوا العالم أجمع. فلو أنهم ينشرون الإسلام الحقيقي، ويعملون به كما ينبغي، فإنّ السيادة ستكون من نصيبكم، وإنّ العزة ستكون من نصيبكم {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.}

هذا فيما يخص رؤساءنا السياسيين. أما الفئة الثانية وأعني بهم علماء الإسلام ومراجعه العظام، فإن مسؤوليتهم بالغة الخطورة أيضاً، ولعل مسؤوليتهم أخطر من الجميع إذا نظرنا إليها من زاوية معيّنة فعليهم نشر الإسلام كما يعرفونه للعالم. طبيعي أننا لا نمتلك الوسائل التي تيسر لنا ذلك، وإن كان هذا بسبب عدم لياقتنا أيضاً، فنحن محرومون من وسائل الإعلام، وجميع الوسائل بأيدي الآخرين. يتوالى المسلمون بعد المسلمين، والعلماء بعد العلماء، دون أن يمتلكوا وسيلة لنشر الإسلام للعالم، وسيلة يقولون خلالها للعالم "هذا هو الإسلام."

إنّ لديكم بضاعة بهذه الجودة لا تقدرون على عرضها للعالم قائلين: هذا ما لدينا! في حين أنّ أولئك أوصلوا إنجيلهم الذي يحوي ما تعلمون من الأمور (والكل مطّلع على هذا الإنجيل المزيف، فهو ليس بالإنجيل الصحيح) لقد وصلوا بهذا الإنجيل المزيف إلى أقصى البقاع، ولقد انتشر مبشّروهم في كل مكان. في الآونة الأخيرة أعلنوا أنّ هذه البلدان الإسلامية التي كانت تحت الأسر حصلت على استقلالها الواحدة تلو الأخرى ولم يكن ذلك ما يهمهم، فهم لا يرَون أنّ البابا قد ذهب ونصرهم جميعاً .

أما نحن فعاجزون حتى في ذات بيئتنا عن عرض أحكام الإسلام الحقيقية، دراستنا نحن لا تتعدى البحث في موضوع الطهارة وكذا وكذا. فلا نتعرض مثلاً لبحث موضوع السياسة في الإسلام، أو الحدود الإسلامية الأخرى. عدم تطبيق الأحكام يختلف عن عدم نشرها وتعريفها للعالم، ينبغي أن

نقوم بتعريفها للعالم، ينبغي أن نقوم بتعريفها يا إخوة! وينبغي أن يدرك العالم أجمع أنّ الإسلام يشتمل على نظام كامل للحياة، وأنّ فيه نظاماً لكل جوانب الحياة، لكل شيء! ومَن الذي عليه القيام بنشر ذلك سوى علماء الإسلام؟!

إنّ علماء الإسلام ـ كثّر الله أمثالهم ـ يتحملون مسؤولية أخطر وأشد رغم ما يبذلونه من جهود، ورغم المتاعب التي يتحملونها. لقد أعزهم الله (تبارك وتعالى)، وعظّم شأنهم، وجعل الآخرين أتباعاً لهم، جعل الناس أتباعاً لهم، وهذا مما يترتب عليه المسؤولية. لذا، يجب أداء هذه المسؤولية، والنهوض بها تماماً كما حُمّل الرسول الأكرم (ص) المسؤولية ونهض بها.

ينبغي طرح الإسلام الحقيقي، ليس كما هو متعارف حالياً، بضعة أمور شكلية وكتاب مفاتيح الجنان وما شابه. كلا، ينبغي طرح الأحكام الإسلامية الحقيقية، ينبغي إخبار العالم أجمع بما لدينا من بضاعة قيّمة، وما لدينا من قوانين رفيعة، فلسنا بحاجة إلى الرجوع إلى أحد فيما يتعلق بالقوانين، لدينا قوانين تخص كل جانب من جوانب الحياة. وقد حدد الإسلام التكليف في كل شيء، ووضع القوانين لكل شيء، ولا حاجة بالمسلمين لتقليد أحد أو اتّباعه في قوانينه.

إنّ شبابنا الجامعيين اليوم، سواء الموجودون هنا، أو في إيران أو في سائر البلدان، يجهلون حقيقة الإسلام، فهم لا يعلمون أصلاً ما هو الإسلام! إنهم لم يعرفوا عن الإسلام سوى أنه صلاة أو طهارة أو ما شابه! ودليلهم على عدم الالتزام بالإسلام هو قولهم: "إننا إذا أردنا أن نصبح مسلمين ونعمل بالإسلام، فليس في الإسلام ما نطبّقه" يقولون هذا لأنّ الإسلام لم يوضح لهم. يقولون: أي نظام في الإسلام لكي نعمل به؟ الطائفة الفلانية لديها نظام! الطريقة الفلانية فيها نظام، فيها نظام حياة، ونحن نريد الحياة، والإسلام ليس سوى شأن فردي يخص الإنسان كفرد، وعليه فليس في الإسلام نظام نطبّقه.

وهذا لأنهم يجهلون الإسلام، ليس لديهم اطّلاع على أحكام الإسلام، لذا فهم يتوهمون عدم وجود نظام في الإسلام، ومسؤولية حصول هذا تقع على علماء الإسلام. طبيعي أنّ علماء الإسلام لم يتمكنوا من علاج هذا الأمر لما يعانونه من مشكلات، غير أنّ إيجاد هذه المعرفة لدى الشبان تقع على عاتقهم، عليهم أن يكتبوا جميع أحكام الإسلام، وأن يشرحوا فنونه، وجميع شؤونه ويوضحوها ويعرضوها للعالم، عليهم أن يكتبوا قوانين الإسلام على حقيقتها في كل جانب من جوانب الحياة وينشروها، وإذا أمكنهم فلينشئوا محطة إذاعية للتبليغ ولنشر الإسلام الحقيقي لكل العالم، وليفهموا بذلك العالم "ما لدينا" وليفهموا العالم أننا نعيش هذا الوضع رغم "ما لدينا"! إنها مسؤولية عظيمة تقع

على عواتق العلماء الأعلام . أعلى الله كلمتهم . على عواتقهم وعلى عواتقكم أنتم أيها المحترمون. فأنتم أيها الفضلاء الأعلام والعلماء الشبان مسؤولون أيضاً، وفي المستقبل ستقع مسؤولية الإسلام على عواتقكم، كما أنكم الآن أيضاً مسؤولون، وهي مسؤولية عظيمة أيضاً.

لذا، فإنّ على الشبان اليافعين ذوي الستة عشر عاماً أو العشرين، والموجودين في المدارس العلمية أن يبدأوا من الآن بتعويد أنفسهم على أن يكونوا كما أرادهم الله تعالى، وكما حثت عليه الأوامر الإلهية، وأن يخطوا خطوة في سبيل تهذيب النفس وتحصيل الأخلاق الحميدة مع كل خطوة يخطونها في سبيل تحصيل العلم. فإنّ الواحد منكم إذا أصبح عالماً ولم يكن مهذباً كما أراد له الإسلام . لا سمح الله . فإنّ ضرره سيكون أكثر من نفعه. فجميع مبتدعي الأديان والمذاهب الباطلة كانوا في الأساس أشخاصاً متعلمين، تعلموا في حوزات علمية دينية إلاّ أنهم لم يكونوا مهذبين، وتأملوا في أرباب المذاهب الباطلة، ستجدون أنهم جميعاً كانوا أشخاصاً متعلمين، وطلبة علوم دينية، غير أنهم لم يكونوا مهذبين.

إنّ وجودكم أيها المحترمون في كنف أمير المؤمنين (ع) في أرض النجف المقدسة يضفي عليكم التزاماً آخر، فالوجود في النجف يختلف عن الوجود في الكويت مثلاً أو طهران أو بغداد، الوجود في النجف بحد ذاته مسألة لها أبعادها الخاصة، وتترتب عليها مسؤولية أخرى. ولينظر الإنسان كيف كانت حياة أمير المؤمنين (ع) لينظر أية حياة بسيطة كان يعيشها سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي، ليتفكر الإنسان في أحوال أمير المؤمنين (سلام الله عليه) وليلاحظ كم من الآلام تحمّلها (ع) في سبيل الإسلام، كم من الطعنات والضربات تلقّى، كم من المرارات تجرّع، وكم من الحروب خاض، مقاسياً من العطش والجوع، ليلاحظ الإنسان كل ذلك.

إنّ الإسلام الذي سُلِّم بأيدينا وصلنا بعد تحمّل كل ذلك، سُلِّم بأيديكم أنتم أيها السادة المحترمون، وإنكم لمسؤولون. فإذا انصبّ اهتمامكم . لا سمح الله . خلال الدراسة على فهم دقائق الأمور العلمية دون الاهتمام بالتهذيب، ودون الاهتمام بتهذيب أنفسكم وتأديبها بآداب الله ونبيّه، إذا كان الأمر كذلك فلن تنتفعوا من العلم، فإنكم إن لم تكونوا مهذبين فإنكم لن تحصلوا على ذلك النور الذي "يقذفه الله في قلب مَن يشاء" إنه من فن ذلك العلم الذي يستتبع النورانية، ذلك العلم الذي هو نور والذي يهبه الباري (تبارك وتعالى)، لن يشمل كل القلوب، ولا يليق به كل قلب. فإن لم يهذَّب ذلك القلب، وإن لم يفرَّغ من الخلق السيئ ومن العمل السيئ، وإن لم يتوجه إلى الله ويسلّم إلى الله (سبحانه وتعالى) بالكامل، فإنه (جلّ وعلا) لن يقذف بذلك النور فيه، فهذا الأمر لا يتم عبثاً،

ولن يتم بالحرص على المعرفة بدقائق العلوم، فالغزالي مثلاً كان عالماً جيداً، وكذا كان أبو حنيفة والكثير غيرهما، كانوا علماء، كما أنّ هناك الكثير ممن يحيطون بدقائق العلوم أفضل من الجميع، لكن الباري (تبارك وتعالى) لم يتلطف عليهم بذلك النور الذي يقذفه تعالى في قلب مَن يشاء. فذلك النور يحتاج إلى التهذيب، ويستلزم بذل الجهد والتربّض. فعليكم أيها الإخوة التربّض وبذل الجهد ما دمتم قد جئتم والتحقتم بهذه المجموعة، وعليكم مراعاة بعض الأمور؛ على كل واحد فيكم أن يحاكم نفسه، حينما تنتهي مطالعتك مساءً إبدأ بمحاسبة نفسك وانظر عدد المعاصي التي ارتكبتها في ذلك اليوم . نعوذ بالله، إن شاء الله لن يكون هناك معاصٍ . أنظر كم شخصاً اغتبت في ذلك اليوم . نعوذ بالله . وعلى كم عالِم تجاسرت. تعلمون أنّ كلمة واحدة، كلمة واحدة!، إذا وجّهت إلى أحد مراجع الإسلام وكانت إهانة! فماذا سيكون الموقف أمام الله؟ "فقد بارز الله بالمحاربة"، إنّ الإنسان سيكون مبارزاً لله، فهؤلاء أولياء الله.

مع كل خطوة تخطوها في سبيل تحصيل العلم، يجب أن تخطو خطوة واحدة على الأقل . إن لم نقل خطوتين . في سبيل تهذيب الأخلاق، وتحكيم العقائد، وترسيخ الإيمان في القلب. وذلك يحتاج إلى التفكير والمحاسبة والمراقبة.

على الإخوة المحترمين أن يراقبوا أنفسهم؟ يراقبوا أنفسهم من الصباح إلى المساء، فإن نفس الإنسان منفلتة بطبيعتها، وإذا غفلنا عنها . نعوذ بالله . فإنها تجرّنا إلى الكفر ليس إلى الفسق فقط! هذا إذا غفل الإنسان! والشيطان لن يقنع منا بالفسق وحده، إنه يريد أن ينتهي بنا الأمر إلى الكفر، إنه يريد للجميع أن ينتهي بهم الأمر إلى الكفر، وغاية ما في الأمر أنه يدفع الإنسان نحو ارتكاب المعاصي الصغيرة، ويلج به نحو الأكبر والأكبر والأشد، حتى يصل به . لا سمح الله . إلى الانحراف التام عن الإسلام.

عليكم أن تراقبوا أنفسكم يا إخوة، يجب أن تراقبوا أنفسكم من أول الصباح، حينما تنهضون من النوم.. بل من أول أذان الفجر وحتى الليل، أو من قبل أذان الفجر حينما تنهضون. يجب أن تراقبوا أنفسكم. يجب مراقبة النفس في التجمعات، في التجمعات الثنائية والرباعية أو حتى المئوية، أو العشرية، يجب مراقبة النفس والحرص على احترام الكبار واحترام الرفقاء، احترام المؤمنين بصورة عامة. اللسان.. على الإنسان تحاشي الدخول في المناقشات العميقة، والكلام غير المجدي، فلو فرضنا أنّ أحداً قام بعمل أو امتنع عن عمل، وكان بذلك مسيئاً في نظركم، فليُحمَل على الصواب،

فينبغي بالإنسان عدم التجاسر هكذا وبدون تدبّر على أحد المؤمنين أو أحد المسلمين، أو أحد طلبة العلوم الدينية، أو أحد أهل العلم، فضلاً عن أن يكون أحد العلماء أو أحد المراجع.

هذه أمور يجب مراعاتها، على الإنسان أن يراقب نفسه، وأن يحفظ هذه الحدود حتى ينال التوفيق.

إنكم ستحملون مسؤولية خطيرة، فإن أصبح أحدكم عالم مدينة ما، فسيكون مسؤولاً عن تلك المدينة، وقد يصبح أحدكم عالم بلاد بأسرها، فيتحمّل بذلك مسؤولية تلك البلاد. وقد يصبح مرجعاً لأمة بكاملها، فيكون بذلك مسؤولاً عن تلك الأمة.

عليكم إذاً وضع الأساس لذلك منذ الآن لكي تستطيعوا أداء دوركم في تحمّل تلك المسؤولية بالشكل المشرّف أمام أنفسكم وأمام دينكم. عليكم الاهتمام بهذا الأمر منذ الآن.

أما أن تقولوا: "دعنا نقرأ دروسنا الآن، وبعدما نبلغ سن المشيب نهتم حينها بتهذيب أخلاقنا إن شاء الله!" فهذا لا يمكن، لن تستطيعوا ذلك، حينها لن يتحقق للإنسان إلاّ ذلك القدر من التهذيب الذي حصّله في طور الشباب، وإذا لم يهذّب نفسه في أيام شبابه ـ لا سمح الله ـ فمن الصعب جداً أن يستطيع ذلك حينما يصبح شيخاً عجوزاً، فحينها ستضعف الإرادة ويقوى العدو. ففي زمن المشيب تضعف إرادة الإنسان، ويقوى جنود إبليس في داخل النفس، ولن يمكن حينها تحقيق التهذيب، وإن أمكن فإنه سيكون أمراً صعباً جداً.

اهتموا بهذا الأمر من الآن، اهتموا به منذ الشباب. إنّ كل قدم تخطونها الآن تقودكم نحو القبر، فلا مجال للتأخير أبداً، وليس هناك ما يمنعكم من ذلك أبداً. كل دقيقة تمرّ من أعماركم الشريفة تقربكم من القبر، ومن الممكن الذي ستتعرضون فيه إلى المساءلة، وكلكم ستُسألون، وأنتم تقتربون تدريجياً، فكروا في أنّ القضية هي الاقتراب من الموت، وأنّ أحداً لم يضمن لكم أن تعمّروا مئة وعشرين سنة، فليس متعارفاً بيننا أن يعمّر أحدنا مئة وعشرين سنة، فالإنسان قد يموت وهو في الخامسة والعشرين من عمره أو في الخمسين أو الستين، ليس هناك من ضمان، لعل الأجل يحلّ بنا الآن ـ لا سمح الله ـ فلا ضمان، ويجب أن تفكروا وتتأملوا في هذه الأمور، وأن تراقبوا. هذّبوا أكثر ـ إن شاء الله ـ ولتكن أعمالكم مطابقة للإسلام، مطابقة لأحكام الإسلام، لكي توفَّقوا ـ إن شاء الله ـ ولكي تشملكم وأنتم تحت القبة المطهرة للمولى (سلام الله عليه) أنوار العلم الذي يرضي الله تعالى، العلم الذي هو نور، العلم الذي يقربكم من الله (تبارك وتعالى)، وهذا يحتاج إلى التريّض، فأنتم تمارسون بتحصيل العلم نوع من الرياضة، فلتكن هذه الرياضة أيضاً مع تلك.

أسأل الله تعالى التوفيق لجميع الإخوة المحترمين، وأسأله تعالى المجد للإسلام والمسلمين، والرفعة والعزة لمراجع الإسلام، وأسأله تعالى أن يمدّ في أعمار مراجع الإسلام، وأن يمنّ (تبارك وتعالى) على طلبة العلوم الدينية بالقدرة على تهذيب أخلاقهم.

هوية الخطاب رقم (17)

العراق/ النجف/ مسجد الشيخ الأنصاري، في 20 رجب 1385، الموافق: 1965/11/14 م.

. الموضوع: واجب رؤساء البلدان الإسلامية، ومسؤولية العلماء في مواجهة الاستعمار والصهيونية.

. المناسبة: بدء الفصل الدراسي في الحوزة العلمية في النجف.

. الحاضرون: العلماء الفضلاء وطلاب العلوم الإسلامية في الحوزة العلمية في النجف.